BITARA
Volume 3, Issue 3, 2020: 203-210
© The Author(s) 2020
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

طرديات الضواري عند أبي نواس

[Tardiyyat al-Dawari of Abu Nuwas]

Yusouf Azzuz Yusouf,[1] Salmah Ahmad[1] & Zamri Arifin[1]

الملخص

الطرديات من أغراض الشعر العربي غير الشائعة، ويعتبر أبو نواس شاعر الطرديات الأول في التراث العربي بلا منازع، وقد وصف فيها حيوانات وأدوات مختلفة للصيد، ومن أهم هذه الأدوات الحيوانات المفترسة (الضواري)، ويهدف هذا البحث إلى التعرف على أنواعها وخصائها، وكيفية وصفها في طرديات أبي نواس. وسبب اختيار البحث ندرة الدراسات الأدبية التي تناولت بالدرس والبحث هذا النوع من الطرديات عند أبي نواس، فقد وصف مختلف الأنواع من حيوانات الصيد في طردياته، وقد ظهر التأثر بالحضارة الفارسية في استخدام الفهود في الصيد للترفيه، كما ظهر التأثر بالحضارة العربية في استخدام الكلاب في الصيد لتوفير الطعام. وكان للطرديات الكلبية النصيب الأوفر من شعره الطردي كماً وكيفاً. واتصفت طرديات الضواري باستخدام الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة والمعاني المتجددة.

الكلمات المفتاحية:

أبو نواس، الشعر، الطرديات، الضواري

Abstract

Al-Ṭardiyyāt is one of the less heeded Arabic poetry themes and Abu Nuwas is undoubtedly considered as the first Ṭardiyyāt poet in the Arabic tradition. He described various animals and hunting mediums in his poetry and among the most important of them are the predators. Since literary studies regarding predators in his poetry is still lacking, this study intends to identify their types and traits, and the ways they are described in the Ṭardiyyāt of Abu Nuwas. The influence of the Persian civilization is evident through the usage of panthers in leisure hunting. Likewise, Arab tradition is also noticeable through the usage of dogs in food hunting. Description of hunting dogs dominate his poems in terms of quantity and variation. Generally, his ṭardiyyāt al-ḍawāri are characterised with the use of peculiar words, complex sentence structures and deep meanings.

Keywords:

Abu Nuwas, poetry, al-Tardiyyāt and al-Dawāri (hunting animals)

[1] Universiti Kebangsaan Malaysia, Selangor, MALAYSIA.

Coressponding Author:
ZAMRI ARIFIN, Pusat Kajian Bahasa Arab dan Tamadun Islam, Fakulti Pengajian Islam, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600 Bangi, Selangor, MALAYSIA.
Email: abuzaim@ukm.edu.my

Cite This Article:
Yusouf Azzuz Yusouf, Salmah Ahmad & Zamri Arifin. 2020. Tardiyyat al-Dawari 'ind Abu Nuwas. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 3(3): 203-210.

المقدمة

يرتبط مصطلح الطرديات بالحيوان، الذي يعتبر سمة أساسية في الحياة العربية القديمة، من ناحيتين، الأولى: باعتباره مصدراً أساسياً للطعام؛ فلم تكن الزراعة شائعة عند العرب، ولم تتوفر لهم الكثير من أدواتها؛ فكان الاعتماد على الحيوان أمراً ضرورياً في الطعام، والثانية: أنهم اتخذوا الحيوان وسيلة للتنقل؛ كالجمال والخيل، ولقلة مصادر الغذاء؛ ابتكروا أدواتٍ للصيد كالقوس والسهم والفخاخ وغيرها، واتخذوا من الحيوانات الأليفة التي بين أيديهم وسائل يصطادون بها؛ فأصبحت الخيل والكلاب والصقور وسيلة أساسية للصيد، وذلك بتعليمهم الصيد وتدريبهم عليه؛ وقد رُوي في حياة الحيوان الكبرى أنّ أوّل من صاد بالصقر من العرب الحارث بن معاوية بن ثور (al-Dimyari 2010, 2:91).

والطرديات تأتي من كلمة (طَرَدَ) وهي كلمة تحمل في طيّاتها عدّة معانٍ، منها معنى الإبعاد والتنحية، وفي اللسان: "طَرَدَتِ الكِلابُ الصَّيْدَ طَرْداً: نَحَّتْه وأَرهَقَتْه...". والطريدة: "ما طَرَدْتَ من صَيْدٍ وغيره". (Ibn Manzur 2005, 2:202)، والطرائد والطرديات هي القصائد والأبيات التي تجعل من الصيد موضوعاً لها، وكان العرب في الجاهلية يخرجون للصيد على الخيل والكلاب، وقد وصفوها في شعرهم وصفاً دقيقاً، كما صوروا مشاهد الصيد والطريدة، مما جعل هذه الأبيات فنّاً معروفاً في الشعر العربي، وقد بدأ هذا الغرض لدى الشعراء الجاهليين حتى وصل إلى ذروته في العصر العباسي على يد أبي نواس، وقد كانت أغلب قصائده على بحر الرجز خاصة، ولم يكن فن الطرديات مستقلاً قبل العصر العباسي؛ بل كان ضمن أغراض شعرية أخرى في القصيدة، ولم ينظموا فيه قصائد مستقلة، أما في العصر العباسي وعند أبي نواس تحديداً، فقد أصبح ينظم في قصائد مستقلة (al-Tunji 1999: 602).

منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي، حيث قام باستقراء الشواهد الخاصة بطرديات الضواري الواردة في ديوان أبي نواس رواية الصولي. تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي. أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، طبعة 2010م، ومحاولة معرفة الخصائص الفنية والأدبية في هذه الأبيات، مع محاولة معرفة الخلفيات الحضارية والاجتماعية والنفسية التي احتوتها هذه الأبيات.

طرديات الضواري

ذكر الجاحظ أن طرديات أبي نواس الكلبية كانت من أجود شعره من حيث جودة الطبع، وجودة السبك، وحذق الصنعة، وإن تأملت شعره فضلته (al-Jahiz 1965, 2:27)، وقد اتخذ أبو نواس الطرديات ميداناً يظهر فيه مقدرته الشعرية ويعرض ثروته اللغوية ومهارته في ائتلاف الألفاظ ليتولد من تأليفها ما يريد من معان وصور، فكان أبو نواس فارس الميدان في هذا الفن (al-Salihi 1981: 162).

وكانت الطرديات التي تصف الكلاب هي أكثر الطرديات في شعر أبـــي نواس، والسبب في ذلك أن كلاب الصيد كانت من الأدوات التي شاع استعمالها في هذه الهواية آنذاك (Hadarah 1988 : 471) .ومما يدل على أهمية الكلب عندهم إفراد الجاحظ له في كتاب الحيوان صفحات عدة، وذكر فيها معرفة أبي نواس بالكلاب، وجودة شـــعره فيها، فيقول: "وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب؛ لأنه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك والحذق بالصنعة" (al-Jahiz 1965, 2:15).

ولم يكن الاهتمام بالكلب عند أبي نواس وحده، بل كان عند كثير من الناس، حتى قال الدميري في وصف الكلب: " الكلب أيقظ الحيوان عيناً، وهو في نومه أسمع من فرس وأسمع من عقعق، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه" (al-Dimyari 2010, 2:148)، ومن فرط تعلق أبي نواس وحبه الجم لكلاب الصيد أنه كان ينصرف إلى وصف الكلب الذي أعده للطرد، ويتشاغل عن ذكر الطريدة، ويسهب في وصف الكلب في أغلب أبيات الطردية.

وأبو نواس كان يتقن استخدام أدواته الفنية في طرديات الضواري، ويستنطق المعاني فيها ليلبسها للشيء الموصوف في براعة مبدع موسوعي محب للشعر، ويتخذ من كلماته ريشة ينحت بها لوحات في ذاكرة الوصف، مسجلاً تفوقه ونبوغه في هذا الفن الطردي (al-Salihi 1981: 162)، ومهما يكن من أمر فقد استطاع أبو نواس أن يصف الكلاب في طردياته وصفاً دقيقاً، وينسج شعراً في صفاتها وأسمائها وسماتها وأنسابها وألقابها (al-Jahiz 1965, 2:22).

النوع الأول من الضواري: (الكلب)

تناول أبو نواس كلب الصيد في طردياته بطرق مختلفة، ومن زوايا متنوعة، وذلك على النحو التالي:

اسم الكلب:اعتاد أصحاب الكلاب أن يسموا كلابهم بأسماء وأوصاف يعرفونها وينادونهم بها، محبةً لها وزيادة في الألفة بينهم وبينها، وأبو نواس يذكر بعض هذه الأسماء في طردياته، فيجعل لها خصائص بشرية إنسانية

ابتداء من تســـمييتها إلى مخاطبتها ومحاورتها في مواقف مختلفة، فيقول في كلب يســـمى زنبوراً لســـليمان بن داود الهاشمي (Abu Nuwas 2010: 194):

إذا الشّياطينُ رأتْ زُنْبورَا *** قدْ قُلّدَ الحلْقَةَ والسُّيورَا

كما يطلق على كلب أخر اسم (سرياح) في قوله (Abu Nuwas 2010: 187):

حينَ دنا من راحةِ المِتاحِ *** أحذَّ في السرعة من سرياحِ

كما يسمى كلابه ناطف وعاطف ودملج في قوله (Abu Nuwas 2010: 194):

قد اغتدي مع القَنيصِ المدلَجِ *** بناطفٍ وعاطفٍ ودَملج

وصف الكلب بالصفات الحسية: لم يترك أبو نواس وصفاً ولا سمة ولا مظهراً لكلب الصيد ظاهراً أو خفياً إلا ذكره في شعره، ومن الأمثلة على ذلك قوله في وصف الكلب زنبور (Abu Nuwas 2010: 194):

إذا الشّياطينُ رأتْ زُنْبورَا *** قدْ قُلّدَ الحلْقَةَ والسُّيورَا
دَعت لخُزَّنِ الفَلا ثُبورَا *** أدْفَى ترى في شِدْقهِ تأخيرَا
ترى إذا عارضتَهُ مغرُورَا *** خناجِراً قد نبتتْ سطورَا
مشتبكاتٍ تنظمُ السحورَا *** أُحْكِمَ في تأديبه صَغيرَا!
حتى توفى الستة الشهورا *** من سنه وبلغ الشغورا

لقد صوّر أبو نواس في هذه الأبيات سرعة الكلب وخفته، وهو يدعى زنبوراً، وقوته التي تجعل الشياطين تدعو بالثبور والهلاك لفقد الأرانب التي صرعها هذا الكلب شماتة بها، حيث إن الأرانب فيما تزعم الأعراب ليست من مطايا الجن، وأن الجن تهرب منها، وهو كلب واسع الفم متأخر الشدقين (أدْفَى ترى في شِدْقهِ تأخيرَا)، وهو مرتخي الأذن وهي صفة حسنة في الكلب، وأسنانه حادة وطويلة مدببه تظهر من جوانب الأرنب المقتول كأنها خناجر حادة متعارضة، وهذا الكلب قد بلغ أفضل عمر مناسب للصيد (ستة أشهر)، وخرج من سن الطفولة إلى سن البلوغ فهو قد بلغ الشغور وهي رفع إحدى الرجلين للتبول .

وفي أبيات أخرى يصف كلبه بأنه طويل فإذا تمطى وتثاءب فإنك تقدر طوله بعشرة أشبار، ويبدع أيضاً في تشبيه حدة أسنانه عندما يفتح فمه حيث يشبهها بالمسامير فيقول (Abu Nuwas 2010: 197):

وإنْ تمَطّى تمّ في أشْبارِهِ *** عَشْرٌ، إذا قُدّرَ في اقتدارِهِ
كأنّ لَحْيَيْهِ لدى افتِرَارِهِ *** شَكّ مساميرٍ على طوارِهِ

وصف الكلب بالصفات المعنوية: ذكر الجاحظ سابقاً أن أبا نواس كان مولعاً بالكلاب ملازماً لها ويعرف عنها ما لا يعرفه الأعراب الذين تخصصوا في بالصيد بها، حتى بلغ به الأمر إلى سبر أغوارها وطبائعها، وكيف تتصرف وكيف تحس، ولذلك فإن أبا نواس قد وصف في طردياته كلابه بصفات معنوية عديدة بعمق ونفاذ، فقد وصفها بالشجاعة والانضباط والمثابرة والنشاط، والطاعة فهي كلاب مؤدبة ومدربة تدريباً جيداً، وذلك في مثل قوله (Abu Nuwas 2010: 170):

يا رُبَّ بَيتٍ بِفَضاءٍ سَبسَبِ *** بَعيدِ بَينَ السَمكِ وَالمِطَنَّبِ
لِفِتيَةٍ قَد بَكَّروا بِأَكلُبِ *** قَد أَدَّبوها أَحسَنَ التَأَدُّبِ
مِن كُلِّ أَدفى مَيَسانِ المنكِبِ *** يَشُبُّ في القَودِ شُبوبَ المقرَبِ

في هذه الأبيات يصف أبو نواس بيتاً بالصحراء يمتاز بالارتفاع والعلو بين سقفه وموضع وتده، يمتلكه فتية قد استيقظوا في الصباح الباكر للصيد بكلابهم التي أحسنوا تأديبها وتربيتها، وفي موضع آخر يصف الكلب بحسن التدريب وفهم كل أنواع الإشارات والأوامر من صفير أو تصفيق من سيده فيقول (Abu Nuwas 2010: 194):

وعرف الإيحاء والصفيرا *** والكفّ أن تُومئ أو تُشيرا

كما يصفه في موضع آخر بالتسلط والاشتطاط، أي بالجور والظلم وقت الصيد ومطاردة الفريسة، إذا كان جائعاً وذلك في قوله (Abu Nuwas 2010: 221):

أعددتُ كلباً للطرادِ سَلْطا *** إذا عدا من نَهمٍ أشطّا

وكلبه قوي يتلظى غضباً وشراسة حين الصيد، وهو شره لا يشبع منه ولا من مطاردته، وهو كلب نشيط يتقافز بقوة وحيوية ويسحب مقوده من الصائد،كأنه خيل أصيل يقفز نشاطاً وحيوية في مكانه (Abu Nuwas :2010: 226)

أعددت كلباً للطراد فظا *** إذا عدا من نهم تلظّى
وجاذب المقود واستلظا ***كأن شيطاناً له ألظا

علاقة الصياد بكلبه: كما نجد أبا نواس يتحدث في طردياته دائماً عن علاقة الصياد بكلبه، ومحبته وتقديمه إياه على غيره، وكيف يتعامل معه بكل تفانٍ وحرص، وكيف يستره بثوبه من المطر، ويسهر بجواره ليحميه من البرد القارص ويغطيه كأنه شيخ كبير يحرص على أولاده الصغار فيعطيهم باللحاف في الليل ويسهر على راحتهم؛ لأن هذا الكلب سبب كل نعمة وكل خير عند الصياد وأهله، وكيف تحول صاحب الكلب كالعبد عنده، يسهر على راحته ويقوم على شأنه، يقول (Abu Nuwas 2010: 189):

أَنعَتُ كَلباً أَهلُهُ مِن كَدِّهِ *** قَد سَعِدَت جُدودُهُم بِجَدِّهِ
وَكُلُّ خَيرٍ عِندَهُم مِن عِندِهِ *** يَظَلُّ مَولاهُ لَهُ كَعَبدِهِ
يَبيتُ أَدنى صاحِبٍ مِن مَهدِهِ *** وَإِن عَرى جَلَّلَهُ بِبُردِهِ

ومهما يكن من أمر فقد أبدع أبو نواس باقتدار وشمول في نعت كلاب الصيد بكل بصفاتها الحسية والمعنوية، وبيّن وفصل بطرق مختلفة كل سماتها وخلالها الحميدة وغير الحميدة.

النوع الثاني من الضواري: الفهد: تحدث الدميري عن أنواع الصيد بالفهد فقال: له ضروب من الصيد منها: المكابرة، وهي لفظة يستعملها الفهاد، يريدون بها المواجهة، ومنها: الدسيس، وهي لحاق الفهد بالطريدة من الخلف، ومنها: المذانبة، وهي أن تمتد الظباء وتأتي في أثرها وأذنابها فتلقى الفهد عليها فهذا أكثر ما يستعمل (Kashajim 1985: 184). وهذا يدل على أن العرب في العصر العباسي تعلموا الصيد بالفهد، حتى أصبح للصيد به أنواع وأشكال ومذاهب، والصيد بالفهد لم يكن معروفاً عند العرب بل هو طارئ من الفرس وحضارتهم، وقد كان معروفاً عند ملوكهم سابقاً، حتى أخذه منهم خلفاء وأمراء بني العباس، وشاهدهم ووصف كل ذلك في طردياته أبو نواس، فقد وصف أبو نواس الفهد، بقوله (Abu Nuwas 2010: 192):

قد أغْتدي، والليل أحْوَى السُّدّ *** والصُّبحُ في الظّلماءِ ذو تَقَدّي
مثل اهتزاز العَضْبِ ذي الفِرْندِ *** بأهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ ، مُرْمَئِدّ
أزْبَرَ، مضْبورِ القَرَا، عِلْكَدّ *** طاوي الْحَشا في طيّ جسْمٍ مَعْدِ

كَرْهِ الرّوا، جَمّ غُضُونِ الخدّ *** دُلامزٍ، ذي نَكَفٍ مسوَدّ
وشَجرٍ بختي بنجر وردِ *** شَرَنْبَث أغْلَبَ مُصْمعِدّ
كَاللَيثِ إلّا نُمرَةً بِالجِلدِ *** لِلشَبَحِ الحائِلِ مُستَعِدّ

يستيقظ أبو نواس للصيد، والليل حالك السواد، يسد الأبصار بظلمته، والصبح ينسلخ من الليل ويسرى فيه، وحركة انسلاخ الصبح من رحم الليل تشبه حركة السيف في لمعانه واهتزازه، وهو يبكر للصيد بفهد أهرت الشدقين أي واسع الشدقين، وهي صفة محمودة في الفهد، كما يصفه بالقوة واكتناز اللحم وضخامة الظهر، ثم يصف الفهد وصفاً حسياً دقيقاً، مؤكداً هذا الوصف بقوله وشجر بختي، يريد أنه واسع الشدقين، كما أنه غليظ الكف والأرجل، سريع منطلق مستعد للانقضاض على الفريسة، فهو مرة يشبه الإبل البختية الضخمة ومرة يشبه الليث إلا أنه بعلامات ونقط في جلده. وقد برع أبو نواس في وصف الفهد براعة الفهد بالصيد ومراوغته وسرعته في الانقضاض على الطريدة وقدرته في خداعها، مشبها إياها بالحية، يقول (Abu Nuwas 2010: 663):

فانقض يأدو غير مجرهد *** في لهب منه وختل إدّ
مثل انسياب الحية العربد *** بكل نشز، وبكل وهد

ويظهر من استعراض شعر أبي نواس في الضواري، أنه استخدم فيها لغة وألفاظاً صعبة الفهم قليلة الاستعمال، ويحتاج القارئ لفهم معناها إلى الرجوع إلى معاجم اللغة، كما أنه لجأ إلى بناء تراكيب معقدة وصور غريبة، تناسب طبيعة الموضوع وقوة الحدث وخطورة البيئة.

كما يظهر في طرادياته أن هناك تنوعاً حضارياً في استخدام الضواري للصيد في عصر أبي نواس، حيث كان الإنسان العربي في العصر الجاهلي يستخدم الكلب في الصيد لغرض توفير الطعام، بينما كان الصيد عند الفرس لغرض التسلية والرياضة والترفيه باستخدام حيوانات غير قابلة للترويض عادة كالفهد والأسد، ولكن الصيد عند أبي نواس جمع بين النوعين، فهو يصيد بكلبه عندما يكون لوحده أو مع أصدقائه، بينما كان يصيد باستخدام مختلف الضواري عندما يكون مع الخلفاء والأمراء والوزراء تقليداً لملوك الفرس وأمرائهم في الصيد.

وكان للطرديات الكلبية النصيب الأوفر من شعره الطردي. وهذا انعكس على الوصف أيضاً، فقد كان شعره في طرديات الكلبية أعمق وصفاً وأكثر تنوعاً وأصدق إحساساً وأجمل من الناحية الفنية. وكانت أوصافه في الطرديات الفهدية أوصافاً حسية في الغالب، بينما كانت أوصافه في الطرديات الكلبية حسية ومعنوية على درجة متقاربة.

الخاتمة

بعد استعراض شعر الطرديات التي ذكر فيها أبو نواس الضواري، نجد أن النسبة الأكبر من الضواري الواردة في شعره هي الكلاب، فقد كان أبو نواس على علاقة قوية معها، وقد كان لها النصيب الأوفر في رحلات صيده وفي وصفه وشعره، ولعلها كانت من الحيوانات القليلة التي وصفها من جميع النواحي الشكلية والجسدية والنفسية، بخلاف الضواري الأخرى التي لم يركز عليها كما فعل مع كلابه المحبوبة. وذكرُ أبي نواس الصيد بالكلاب في طردياته هو امتداد للصيد في العصر الجاهلي، حيث كان البدوي يصيد بكلبه طلباً للطعام، كما كان ذكره للصيد بالضواري الأخرى في شعره كالفهود بسبب تأثره الحضاري بالعنصر الفارسي، فقد كان الصيد رياضة سائدة عند الطبقة الحاكمة الغنية من الفرس. وتظهر في الطرديات اللغة الصعبة في مفرداتها الوعرة وعباراتها المعقدة وصورها الغريبة، ولذلك فهي تحتاج إلى جهد فني عميق، وأدوات لغوية وبلاغية وأسلوبية متمكنة لاستخراج ما فيها من صور فنية وبيانية وأشكال أسلوبية جديدة في التعبير. مما يتطلب دراسات معمقة ومتخصصة من كافة الجوانب الأدبية والبيانية والنقدية والبلاغية؛ لاستخلاص الجوانب الإبداعية التي تمتع بها أبو نواس، ومقارنة أسلوبه في الطرديات مع أسلوبه في الأغراض الشعرية الأخرى.

References

Ibn Manzur. 2005. *Lisan al-Arab*. Bayrut: Dar al-Fikr.

Abu Nuwas, al-Diwan. 2010. *Diwan Abi Nuwas Riwayat al-Suli*. Tahqiq: Bahjat ‘Abd al-Ghafur al-Hudaythi. Abu Dabi: Dar al-Kitab al-Wataniyyah hay’at Abu Dabi lil Thaqafat wa al-Turath.

al-Tunji, Muhammad. 1999. *Al-Mu‘jam al-Mufassall fi al-Adab*. Bayrut: Dar al-Kitab al-‘Ilmiyyah.

Al-Jahiz, ‘Uthman Ibn Bahr. 1965. *al-Hayawan*. Tahqiq: ‘Abd al-Salam Harun. al-Qahirah: Maktabat al-Babi al-Halabi.

Al-Dimyari, Abu al-Baqa’ Muhammad ibn Musa. 2010. *Hayat al-Hayawan al-Kubra*. Bayrut: Dar al-Kitab al-‘Ilmiyyah.

Al-Salihi, ‘Abbas. 1981. *Al-Sayd wa Tard fi al-Shi‘r al-‘Arabi*. Bayarut al-Mu’assasat al-Jami‘ah lil Dirasat wa al-Nashr wa Tawzi‘.

Kashajim, Abu al-Fath Muhammad ibn Mahmud. 1985. *Al-Saqr wa al-Sayd ‘an al-‘Arab*. al-Kuwayt: MaktabatShirkah Kazimah.

Hadarah, Muhammad Mustafa. 1988. *Ittijahat al-Shi‘r al-‘Arabi fi al-Qurn al-Thani al-Hijri*. Al-Qahirah: Dar al-Ma‘arif bi Misr.